(٨٥) سورة البروج

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها اثنتان وعشرون نزلت بعد سورة الشمس تعرض لحقائق العقيدة ومحورها حادثة أصحاب الأخدود وهى قصة تدل على مدى التضحية بالنفس فى سبيل العقيدة والإيمان بدأت السورة بالقسم بالسماء ذات النجوم الهائلة، ومداراتها الضخمة وباليوم العظيم المشهور وهو يوم القيامة، وبالرسل وبالخلائق.

ثم تناولت قصة أصحاب الأخدود، ثم تلاها الوعيد والإنذار والهلاك من هؤلاء الفجار على فعلتهم الشنيعة، وبعد ذلك تحدثت عن قدرة الله عز وجل على الانتقام من أعدائه الذين فتنوا عباده وأولياءه. وختمت السورة الكريمة بقصة الطاغية الجبار فرعون وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار نتيجة البغى والطغيان، وهو ختام رائع يلائم موضوع السورة، وسميت بسورة البروج حيث أقسم الله عز وجل بالسماء وما فيها من بروج وكواكب كلها شاهدة على وحدانية الله وصمدانيته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝ ﴾

معانى المفردات:

ذات البروج: ذات المنازل للكواكب	اليوم الموعود: يوم القيامة
شاهد: من شهد على غيره	مشهود من يشهد عليه غيره
قُتل: لُعِن أشد اللعن	الأخدود: الشق العظيم كالخندق

ما نقموا: ما كرهوا أو ما عابوا فتنوا: عذبوا وأحرقوا

التفسير:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ يقسم الله عز وجل بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة التى تنزلها الكواكب أثناء سيرها، قال المفسرون: سميت هذه المنازل بروجا لظهورها، وشهرت بالقصور لعلوها وارتفاعها لأنها منازل للكواكب السيارة ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ أى وأقسم بيوم القيامة الذى وعد الله به الخلائق ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ أى وأقسم بمحمد والأنبياء الذين يشهدون على أممهم فى هذا اليوم ويجمع الأمم والخلائق الذين يجتمعون فى أرض المحشر للحساب، وقيل الشاهد هذه الأمة والشهود سائر الأمم[1] ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ هذا هو جواب القسم والجملة دعائية أى قاتل الله ولعن أصحاب الأخدود الذين شقوا الأرض طولا وجعلوها أخاديد وأضرموا فيها النيران ليحرقوا بها المؤمنين، وخلاصة قصة أصحاب الأخدود "أن ملكا ظالما كافرا أسلم أهل بلده فأمر جنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة ويعرضوه على النار فمن لم يرجع عن دينه فليلقوه فى النار ففعلوا ذلك، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها، فأنطق الله الغلام وقال لها: يا أماه اصبرى فإنك على حق" تفاصيل القصة كاملة فى صحيح مسلم.

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ أى النار العظيمة المتأججة، ذات الحطب واللهب التى أضرمها الكفار فى تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين، ثم بالغ سبحانه وتعالى فى وصف المجرمين فقال ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أى حين هم جلسوا حول النار يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويشهدون ذلك الشنيع، والغرض هو تخويف كفار قريش فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله تعالى قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتسلية للمؤمنين

---

(١) أختلف المفسرون فى تفسير "الشاهد" و "المشهود" اختلافا كبيرا حتى ذكر بعضهم فيها أقوالا كثيرة فقيل أن الشاهد هو محمد والمشهود هو يوم القيامة وقيل أن الشاهد جوارح الإنسان والمشهود عليه هو ابن آدم، والأحسن أن يراد ما هو أعم ولذلك ذكر هما ليعم كل شاهد ومشهود "صفوة التفاسير" ص ١٧٠٦.

المعذبين، ثم قال تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أى وما كان لهم من ذنب ولا انتقموا منهم إلا لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد الغالب الذى لا يضام من لاذ بجنابه الحميد فى جميع أقواله وأفعاله، فالغرض أن سبب البطش بهم وتحريقهم بالنار لم يكن إلا لإيمانهم بالله الواحد الأحد، وهذا ليس بذنب يستحقون به العقوبة ولكنه الطغيان والإجرام ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى إن الله عز وجل هو المالك لجميع الكائنات المستحق للمجد والثناء فهو سبحانه عزيز لا يغلب قادر يخشى عقابه حميد أى يجب له الحمد على نعمه الجزيلة وكل من فى السموات والأرض يحق له عبادته والخشوع له ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ هو سبحانه مطلع على أعمال عباده لا تخفى عليه خافية من شئونهم وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين، ثم قال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى الذين عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنهم عن دينهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ أى لم يرجعوا عن كفرهم وطغيانهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ أى فلهم عذاب جهنم المخزى بكفرهم ولهم العذاب المحرق بإحراقهم المؤمنين.

الإعراب:

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ	الواو حرف قسم، والسماء مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم، وذات نعت مجرور والبروج مضاف إليه مجرور، واليوم الموعود عطف على السماء، وشاهد ومشهود عطف أيضا، وجواب القسم محذوف، وقد اختلف فيه دل عليه قوله "قتل أصحاب الأخدود".
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ	قتل فعل ماض مبنى للمجهول، أصحاب نائب فاعل مرفوع، الأخدود مضاف إليه مجرور، النار بدل اشتمال مجرور من الأخدود، ذات الوقود نعت مجرور.

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ	إذا ظرف للزمن الماضى، هم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عليها جار ومجرور متعلقان بقعود، قعود خبر مرفوع بالضمة الظاهرة والجملة فى محل جر، ما اسم موصول فى محل جر، يفعلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل جملة الصلة لا محل لها من الاعراب، بالمؤمنين جار ومجرور متعلقان بشهود ومشهود خبر مرفوع بالضمة الظاهرة.
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	الواو عاطفة أو حالية، ما نافية، نقموا فعل ماض والواو فاعل، منهم جار ومجرور متعلقان بنقموا، إلا أداة استثناء للحصر، أن يؤمنوا مصدر مؤول فى محل نصب مفعول نقموا، أى ما عانوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان، بالله جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا العزيز الحميد صفتان لله عز وجل.
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ	الذى اسم موصول مبنى فى محل جر نعت ثالث، له جار ومجرور خبر مقدم، ملك مبتدأ مؤخر، السموات مضاف إليه مجرور والأرض معطوف مجرور والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة والله مبتدأ، وشهيد خبره، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بشهيد.
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إنَّ، فتنوا فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها. المؤمنين مفعول به منصوب بالياء والمؤمنات معطوف منصوب بالكسرة، ثم حرف عطف يفيد التراخى، لم حرف نفى وجزم، يتوبوا مضارع مجزوم علامة الجزم حذف النون والواو فاعل، فلهم الفاء رابطة لجواب شرط مقدر مفهوم من المبتدأ، لهم جار ومجرور خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر وجهنم مضاف إليه مجرور بالفتحة ممنوع من الصرف وجملة فلهم عذاب مبتدأ مؤخر، الحريق مضاف إليه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝ ﴾

معانى المفردات:

بطش ربك : أخذه الجبابرة بالعذاب

هو يبدئ : يخلق ابتداء بقدرته

يعيد : يبعث بعد الموت بقدرته

المجيد : العظيم الجليل المتعالى

التفسير:

بدأت الآيات الكريمات بذكر مصير المؤمنين فقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أى لهم البساتين والحدائق الزاهرة التى تجرى من تحتها قصورها وأنهار الجنة قال الطبرى : هى أنهار الخمر واللبن والعسل[1] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ أى ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب، الذى لا سعادة ولا فوز بعده، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن انتقامه الشديد من أعداء رسله وأوليائه فقال سبحانه ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ اى إنَّ أنتقام الله وأخذه الجبابرة والظلمة بالغ الشدة قال أبو السعود : البطش الأخذ بعنف حيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام[2] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أى هو سبحانه وتعالى الخالق القادر، الذى يبدأ الخلق من العدم، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ أى وهو الساتر لذنوب عباده المؤمنين، اللطيف المحسن إلى أوليائه قال ابن عباس : يودُّ أولياءه كما يود أحدهم أخاه بالبشرى والمحبة[3] ﴿ ذُو

---

(١) تفسير الطبرى ٣٠/٨٨.

(٢) تفسير أبو السعود ٥/٢٥٣.

(٢) القرطبى ١٩/٢٩٤.

﴿ ٱلْعَرْشِ ﴾ أى صاحب العرش العظيم، وإنما أضاف العرش إلى الله وخصَّه بالذكر، لأن العرش أعظم المخلوقات وأوسع من السموات السبع وخلقه بهذا الوصف يدل على عظمة خالقه ﴿ ٱلْمَجِيدُ ﴾ أى هو تعالى المجيد العالى على جميع الخلائق، المتصف بجميع صفات الجلال والكمال ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴾ استفهام للتشويق، أى هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة، الذين حاربوا الرسل والأنبياء؟ وهل بلغك ما أحَلَّ الله بهم من البأس وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب؟ ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ أى هم فرعون وثمود، أولى البأس والشدة، فقد كانوا أشد بأسا وأقوى مراسا من قومك، ومع ذلك فقد أخذهم الله تعالى بذنوبهم ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴾ أى لم يعتبر كفار قريش بما حل بأولئك الكفرة المكذبين، بل هم مستمرون فى التكذيب فهم أشد منهم كفرا وطغيانا ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ أى والله تعالى قادر عليهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه، لأنهم فى قبضته فى كل حين وزمان ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ أى بل هذا الذى كذبوا به كتاب عظيم شريف، سما على سائر الكتب السماوية، فى إعجازه ونظمه وصحة معانيه ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ أى فى اللوح المحفوظ الذى فى السماء، محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل.

الإعراب:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ	إنَّ حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إن، آمنوا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول، الصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم لهم جار ومجرور خبر مقدم، وجنات مبتدأ مؤخر مرفوع، تجرى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، من تحتها من حرف جر، تحتها ظرف فى محل جر والهاء مضاف إليه، الانهار فاعل مرفوع والجملة الفعلية "تجرى من تحتها الأنهار" نعت لجنات فى محل رفع، ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، الفوز خبر مرفوع والكبير نعت مرفوع.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ	إنَّ حرف توكيد ونصب، بطش اسم إن منصوب، ربك مضاف إليه مجرور، والكاف ضمير فى محل جر مضاف إليه، لشديد اللام لام التوكيد، شديد خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة، إنه إن واسمها، هو ضمير فصل فى محل رفع مبتدأ يبدئ فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر المبتدأ ويعيد معطوف والجملة الاسمية "هو يبدئ ويعيد" فى محل رفع خبر إن.
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ	الواو عاطفة، هو ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، الغفور خبر مرفوع وما بعده أخبار، وبهذه الآية يستدل النحاة على تعدُّد الخبر وقال الزمخشرى "فعال خبر مبتدأ محذوف وفعَّال صيغة مبالغة تدل على الكثرة وقال الفرَّاء هو رفع على التكرير والاستئناف لأنه نكرة محضة.
هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ	هل هى بمعنى قد وقيل هى استفهام تقريرى تعجبى أتاك فعل ماض والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به، حديث فاعل مرفوع، الجنود مضاف إليه مجرور بالكسرة.
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ	فرعون بدل من الجنود وثمود معطوف مجرور، بل حرف إضراب مبنى على السكون، الذين اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، كفروا فعل وفاعل "جملة صلة لا محل لها من الإعراب، فى تكذيب جار ومجرور فى محل رفع خبر المبتدأ".
وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ	الواو عاطفة، الله مبتدأ مرفوع، من ورائهم جار ومجرور متعلقان بمحيط، محيط خبر مرفوع.

بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ	بل حرف إضراب انتقالى للأشد، هو ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، قرآن خبر مرفوع، مجيد نعت مرفوع، فى لوح نعت ثان، محفوظ نعت للوح مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من ألوان البيان والبديع نذكر منها.

❖ الطباق بين ﴿ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ وهو لتأكيد قدرة الله عز وجل على الخلق فى البداية والإحياء يوم القيامة للحساب.

❖ الجناس فى قوله تعالى ﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ وهو جناس اشتقاق.

❖ تأكيد المدح بما يشبه الذم فى قوله تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ وكأنه يقول: ليس لهم جريمة إلا إيمانهم بالله وهذا من أعظم ما يفتخر به الإنسان.

❖ المقابلة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ ﴾.

❖ أسلوب التشويق لاستماع القصة ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴾.

❖ صيغ المبالغة فى قوله تعالى ﴿ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖